

بديع الزمان سعيد النورسي دعوته، عالميته، ومشاكل الشرق الاوسط

في ضوء مفهومه للجهاد

ا.د. محمد حرب *

يثير انتباه المسلمين عموماً والمتخصصين في الدراسات الاسلامية خصوصاً ظاهرة بروز رسائل النور التي ألفها المفكر العثماني الذائع الصيت في العالم الاسلامي بديع الزمان سعيد النورسي.

لذلك أرجو ان تكون نظرتي هذه الى بديع الزمان سعيد النورسي تركز على ثلاث محاور:

المحور الاول: لماذا ظهر بديع الزمان سعيد النورسي في هذه المرحلة بالذات التي ظهر فيها وفي هذا المكان بالذات الذي ظهر فيه؟

المحور الثاني: عالمية دعوة بديع الزمان سعيد النورسي.

المحور الثالث: مدى الجديد الذي قدمه بديع الزمان سعيد النورسي الى فقه النظرة الاسلامية للموضوعات الجديدة في عالم المسلمين السياسي من خلال نظرية الجهاد في الاسلام ودور هذه النظرة في احداث الشرق الاوسط في هذا الوقت من السنوات الخمس الأخيرة من القرن العشرين. ونظرة بديع الزمان سعيد النورسي في الجهاد على مدى القرن الواحد والعشرين في العلاقات الدولية.

المحور الأول

ظهور النورسي في الزمان والمكان المعينين

نتج انهيار الدولة العثمانية التي عاش بديع الزمان سعيد النورسي فيها، عن عدة عوامل. يهمنا هنا من هذه العوامل: العامل الفكري والفلسفي. ولاشك ان كان للعامل الفكري والفلسفي دوراً هاماً رئيساً في انهيار هذه الدولة. وتمثل هذا العامل فيما يعرف الآن بالغزو الفكري أي دخول الفكر الغربي الى الدولة العثمانية وتأثر الناس فيها خاصة الشباب بهذا الفكر.

لقد بدأ الفكر الغربي في الانتشار في الدولة العثمانية قبل انهيار هذه الدولة بل وكان هذا الفكر الغربي هو المهد الرئيسي لهذا الانهيار الذي فجعت به الامة الاسلامية كلها. وقد تمثل هذا الفكر في المذاهب الفلسفية الدخلية على العالم العثماني.

لنضرب بعض امثلة لهذا: الفكر الاسلامي غني بمناهجه في الادارة يعتمد على مبدأ الشورى وأهل الحل والعقد وعلى الديمقراطية في أخذ الأمور الاساسية للامة، وفي الغرب منهج ادارة يختلف ويتفق مع الاسلام في أمور ويختلف عنها في أمور، وتراث الامة الاسلامية في العقدة يغنيها عن التراث الأوربي، ونظام التعليم في الاسلام نظام متكامل ولم يكن في حاجة الى النظام الغربي فيه وقتها.

لا أقول ان هذا كلامي ولكنه كان الكلام السائد وقت دخول مثل هذه الأفكار الى العالم العثماني. وأقول كل هذا تمهيداً لفترة ان عهد التنظيمات وما سبقه وما تلاه من تسرب الفكر الغربي الى الدولة العثمانية ادى بالضرورة الى دخول الفكر الغربي في الاعتقاد والايمان وانتشاره بين الناس في الدولة اخص بالذكر هنا المذهب المادى بشكله العام. هذا الاتجاه المادى وتيارات الفلسفة الوصفية احدثت ذبذبة في افكار الشباب العثماني اولا ثم التركي بعد الاستقلال وادت هذه الفلسفة الوصفية وهذا الاتجاه المادى الى نشر بذور التحلل من الدين الاسلامي في الدولة. ولما ساد هذا التحلل كان لابد من قيام

"فلسفة" اسلامية جديدة تواجه الوصفية الغربية في تركيا. وكان هذا دوراً مقدراً على بديع الزمان سعيد النورسي بتحليلاته العلمية التي استخدمها لخدمة اعادة الشباب الذي انتشرت بينه الوصفية والمادية الاوربية الى حظيرة الاسلام مرة أخرى بل وسريان هذه التحليلات العلمية للايمان بين الناس وبين المسلمين لتثبيت هذه العقيدة الاسلامية. هذه التحليلات الايمانية العلمية هي ما نسميها برسائل النور. واذا كان البعض يتهم رسائل النور بالفلسفة فانما مرد فلسفتها تحدي الفكر المادى الغربي في تركيا بعد ان سيطر على طبقات المثقفين وطلاب الجامعات وقتها. وارى ان مواجهة الفلسفات الغربية في تركيا تحتاج الى فلسفة بديع الزمان في رسائل نوره.

المحور الثاني

عالمية دعوة بديع الزمان سعيد النورسي

لم يتناول صاحب الدعوة النورسية مشاكل بلاده الاقليمية وانما كان خطابه خطاباً اسلامياً عاماً لفائدة كل المسلمين وكانت نظراته وفلسفاته من الجدة بحيث يمكن وصفها بالتجديد ويمكن اضافة صفة مجدد للفكر الاسلامي على بديع الزمان سعيد النورسي فهو قد تناول في عهد حياته مشاكل حدثت بعد ذلك ووضع لها حلولها وتفسيراتها. فمشكلة الارهاب التي تنشر ظلها على جميع ارجاء العالم الاسلامي اليوم عالجها بديع الزمان في عصره ووضع لها حلولها. وليس هنا مجال للتحدث عن ظاهرة حلول بديع الزمان للارهاب فقد صدرت عنها دراسات باللغة التركية لم تترجم بعد الى اللغات غير التركية. وكنت ارى في ترجمتها خدمة للسياسة والادارة وللشعوب في العالم الاسلامي بل واستطيع القول في العالم كله.

ونظرات بديع الزمان وفلسفته في مفهوم الديمقراطية مفهوم جديد على العالم الاسلامي، اود ان اشير هنا الى ان مفهومه في التعامل في السلطة والدولة معاملة بالغة الرقى بعيدة كل البعد عن الحدة والمواجهة العدائية.

ويقوم الآن المترجم القوي ذو الاسم الذائع الصيت بين المترجمين المسلمين بل قد وصل بترجمته رسائل النور درجة دخل بها تاريخ الثقافة الاسلامية والفكر السلامي من اوسع ابوابه.

ان ترجمة رسائل النور من اللغة العثمانية او فلنقل اللغة التركية الى اللغة العربية قد فتح لها مجال العالمية لقد خرجت الرسائل من الاناضول الى العالم، لا اقول العالم العربي، بل اقول العالم كله، ذلك لأن اللغة العربية هي الآن وكما كانت من قبل لغة عالمية، لا اقول انها احدي لغات الأمم المتحدة الرئيسية بل اقول ان قارئ اللغة العربية في العالم اكثر بكثير من العرب الذين يقرأون اللغة العربية.

كنت أقترح ترجمة رسائل النور الى اللغة الروسية لأن مسلمي تركستان والقوقاز والاتحاد الروسي بل ومسلمي دول الكومنولث يتحدثون في معرفتهم بالروسية، لكن انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور النزعات الاقليمية والاشادة بالثقافة الاسلامية لدى الجمهوريات التركية والاعتزاز العرقي جعل الجمهوريات الجديدة تتجه الى ترسيخ انتشار لهجاتها المحلية فاللغة الأوزبكية في طريقها لطرد اللغة الروسية مثلاً وعلى مدار عشر سنوات على الأكثر. اذن فترجمة رسائل النور الى اللغة العربية المقدر لها الانتشار في آسيا الوسطى وتركستان والقوقاز ودول الكومنولث ستعطي لترجمة احسان قاسم الصالحي الفرصة العالمية رسائل النور.

لكني هنا اقدم نظرة جديدة وهي لو ان رسائل النور قد ترجمت اثناء حياة مؤلفها الى اللغة العربية لسدت نقصاً خطيراً في مواجهة الفكر المادى الغربي الذي استشرى في العالم العربي كله اثناء انتشاره في الدولة العثمانية في عهدها الأخير وفي تركيا. وكان هذا قد حدث لظهور تيار اسلامي فلسفي قوى وعامل في مواجهة الفكر المادى الغربي في مواجهة السلطة.

وأرى لعالمية دعوة بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة الكتب التي تعالج مشكلات العالم الاسلامي وتجديد الفكر السلامي المعتمدة على تفسيرات رسائل النور، الى اللغة العربية ايضاً. ولذلك تسهياً لتناول الحكومات والجماعات والافراد لكل مشكلة من مشاكل العالم على حدة والاستفادة منها. مثال ذلك الكتب التي تحدثت عن معالجة بديع الزمان للمشاكل العرقية في تركيا وفي غيرها او الكتب التي تحدثت عن الارهاب وعن السياسة... الخ.

المحور الثالث

مفهوم الجهاد عند بديع الزمان

وصلته بحل مشكلة الشرق الاوسط

الجهاد في سبيل الله عند بديع الزمان جهاد مادي و جهاد معنوي. وليس بديع الزمان دائماً مع حل المشكلات مع العدو حلاً عسكرياً وانما يميل الى الحل السلمي في "اللمعة السادسة عشرة" يقول: "ان مصيبة الحرب وبلاتها ضرر بالغ لخدمتنا القرآنية لأن معظم اخواننا العاملين المضحين الفضلاء لا يتجاوز اعمارهم الخمس والأربعين سنة فيضطرون الى الذهاب الى الحرب تاركين الخدمة القرآنية المقدسة. ان انخراط مئات من اخواننا العاملين بالجندية ومزاولتهم الجهاد المادي خسارة فادحة لخدمتنا".

وفي نفس هذه اللمعة يقول: "فلم عارضت هذه الحرب بشدة وسألت الله ان تحل هذه القضية بسلام وآمان؟" معنى هذا ان بديع الزمان يقول انه اذا كان من الممكن - وهذا تفسير محمد فرنجي وقد سمعته منه - حل المسائل مع العدو حلاً سلمياً فان ذلك افضل بكثير من الحل العسكري.

كان هذا الرأي بالتأكيد قبل ظهور المشكلة الفلسطينية، في ذلك الوقت كانت النعرة السائدة في العالم الاسلامي انه لا بد من الحرب ضد اليهود في فلسطين وكان الموقف العربي عامة والاسلامي خاصة يرفض فكرة التفاوض مع اليهود حتى ان مشروع التقسيم الذي فرضته الأمم المتحدة لم ينل اي موافقة اسلامية او عربية وبعد صراع طويل المدى بين العرب من ناحية تخللته عدة حروب هزم فيها العرب شر هزيمة ولم ينتصروا الا مرة واحدة وهي الأخيرة. وفي تصوري ان نظرية بديع الزمان في الحل السلمي لو طبقت وقتها لكانت قد وفرت على العرب كل هذا الصراع الذي خسروا فيه كثيراً. ونحن هنا لا نؤيد ولا نعارض وجهة نظر بديع الزمان ولكن نحاول ان نجعلها موازية للأحداث ونلقي على الأحداث من شعاعاتها ما قد يثرى موضوع هذه النظرة.

ماذا حدث في قضية فلسطين الآن بعد وفاة بديع الزمان بمدة طويلة وبعد ان دخل العرب الحرب ضد اسرائيل بالسلاح. نقول انهم اضطروا الآن الى الحل السلمي مفضلين التفاهم واستخلاص الأرض عن طريق المفاوضات هذا من شأنه ان يقلل الخسائر البشرية والمادية.

هذه محاولة لتفسير أحداث الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية في ضوء اللمعة السادسة عشر لبديع الزمان سعيد النورسي.

* أ. د. محمد حرب: رئيس قسم الدراسات العثمانية والتاريخ التركي بكلية الآداب في جامعة عين شمس - القاهرة. ورئيس مركز الدراسات العثمانية والعالم التركي. تخرج في جامعة إسطنبول في سنة ١٩٨٠ من قسم التاريخ. له مؤلفات عديدة ومقالات كثيرة في الصحف والمجلات الصادرة في العالم العربي. اشترك في ندوات عالمية كثيرة. من مؤلفاته:

١- العثمانيون والحضارة. ٢- مذكرات السلطان عبد الحميد "ترجمة". ٣- المسلمون في اسيا الوسطى والبلقان. ٤- منهج التربية عند بديع الزمان النورسي. ٥- ايجاد انسان لنجيب فاضل "ترجمة".